القضاء الإلهي

بقلم قائم آل محمد (ص) أبا الصادق

تشترك الديانات السماوية الغربية الثلاث الكبرى — اليهودية، والمسيحية، والإسلام — في العديد من المعتقدات الأساسية. فجميعها تؤمن بالتوحيد وتُقر بإيمانها بإله واحد: إله إبراهيم ونوح وآدم (عليهم السلام). كما تعترف هذه الديانات بالعديد من نفس الأنبياء والرسل، بما في ذلك موسى وإيليا وداود وسليمان (عليهم السلام)، ويقع في صميم هذه الديانات كلها مفهوم العهد الإلهي بين الله والبشر.

بحسب الكتاب المقدس العبري، أقام الله أولاً عهداً مع آدم، ثم تبعه بعهد مع نوح، ثم مع إبراهيم، ثم مع موسى (عليهم السلام)، ثم يخبر الإنجيل بعهد جديد من خلال عيسى (عليه السلام)، أما القرآن الكريم، فقد كشف عن عهد سادس من خلال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد جاء كل عهد نتيجة لنقض الكافرين للعهد الذي سبقه، وكان كل عهد مصحوباً بشريعة مُجدّدة— مجموعة من الأحكام الإلهية الجديدة أو المُعدّلة، وقد شكلت هذه التغيرات تطوراً في التكليف الذي وضعه الله على عاتق عباده، ومع كل عهد جديد، كان يتم نسخ الأحكام السابقة كلياً أو جزئياً، ويتم تأسيس إطار قانوني جديد.

قول الله ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ فقال: «نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وعلى جميع أنبياء الله ورسله»، قلت: «كيف صاروا أولي العزم؟» قال: «لأن نوحا بُعث بكتاب وشريعة فكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتى جاء إبراهيم (عليه السلام) بالصحف، وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرا به فكل نبي جاء بعد إبراهيم جاء بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وبعزيمة ترك الصحف، فكل نبي جاء بعد موسى أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد (صلى الله عليه وآله) فجاء بالقرآن وشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل[1]".

كان آدم (عليه السلام) أول من تلقى عهداً إلهياً وشريعة إلهية، وقد حافظ كل من الأنبياء الذين خلفوه — هابيل، وشيث، وأخنوخ، وقينان، ومهلائيل، ويارد، ومَتوشالح، ولامك — على تلك الشريعة الأصلية، وعندما بُعث نوح (عليه السلام)، كُلّف بداية بالحفاظ على عهد آدم، ولكن عندما كذّبه قومه ونقضوا العهد، أرسل

[1] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ - الصفحة ٣٢٦

الله الطوفان العظيم، ونجّى نوحاً ومن آمن معه، وفي أعقاب ذلك أقام الله عهداً جديداً مع نوح — وهو عهد نوح، ليصبح نوح (عليه السلام) بذلك من أولي العزم من الرسل، لما تحلّى به من إيمان وعزيمة مكّنته من حمل شريعة إلهية جديدة.

وعلى النقيض من ذلك، فعلى الرغم من أن الكتاب المقدس يشير إلى عهد مع داود (عليه السلام)، إلا أن ذلك العهد لم يكن يتضمّن شريعة جديدة، بل كان وعداً إلهياً بأن تتحمل ذرية داود مسؤولية صون عهد موسى إلى أن يحين أوان مجيء المسيح، ولهذا، يرجع نسب عيسى (عليه السلام) إلى داود، وتُجمِع الروايات اليهودية على أن المسيح لا بد أن يكون من نسل داود.

إن الغرض من هذا الكتاب هو تتبّع مسار تطوّر الشريعة الإلهية كما كُشف عنها من خلال العهود التي أقامها الله مع البشرية — ابتداءً بعهد آدم، وانتهاءً بالعهد الأحمدي، حيث سيتمكّن القارئ من خلال هذا المسار من رصد التحوّلات التاريخية في التشريعات، ومعرفة ما قد نُسخ منها وما أُبقي عليه، وفهم الحكمة الإلهية التي صاحبت كل انتقال شرعي، وفي ضوء تلك المعرفة، *يصبح من الواجب على القارئ اتباع كل شريعة إلهية تُكشف له كما أُنزلت وفُهمت* — إلى أن تُنسخ بكشف جديد[2].

لم يسبق لأي أمة في التاريخ أن طبّقت جميع الشرائع الإلهية من كل عهد، فذلك تميّز فريد خص الله به المؤمنين بالعهد السابع والأخير، وهو أمر أخبرت النبوءات بتحققه خلال قيام القائم، قال أبو جعفر (عليه السلام): **"يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد[3]".**

وبإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممن قد ضرب قدامه بالسيف، وهو قضاء آدم عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الثانية، فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدامه بالسيف، وهو قضاء داوود عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الثالثة، فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قدامه بالسيف، وهو قضاء إبراهيم عليه السلام، فيقدمهم فيضرب أعناقهم، ثم يقضي الرابعة، وهو قضاء محمد صلى الله عليه وآله، فلا ينكرها أحد عليه[4]".

---

[2] سيتم الكشف عن الأحكام الجديدة مع كل باب من هذا الكتاب

[3] كتاب الغيبة - النعماني - ج١ - الصفحة ٢٣٦

[4] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - الصفحة ٣٨٩

وهكذا، فإن القائم سيُحيي ويُطبّق الأحكام الواردة في جميع العهود السابقة، ويكون أصحابه مكلفين بقبول هذه الأحكام والانصياع لقضائه، إلا أن بعضهم سوف ينكرها عليه، ولا يقرّون إلا بالعهد المحمدي، إلا أن القائم يأتي مذكراً الناس بقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**[5]﴾.

[5] القرآن الكريم - سورة الشورى - الآية ١٣



الباب الأول

أحكام العهد الأول

عند تأمّل عهد آدم في ضوء ما ورد في جميع الكتب السماوية—سواء اليهودية أو المسيحية أو الإسلامية—نصل إلى رواية موحّدة: خلق الله آدم (عليه السلام) وأقام معه عهداً بصفته أول خليفة إلهي مُنصب في الأرض.

قبل خلق آدم (عليه السلام)، كان كلٌ من الملائكة والجن موجودين بالفعل، فأخبرهم الله سبحانه بأنه إذا نفخ في آدم من روحه، فعليهم أن يسجدوا له كما يسجدون لله سبحانه، ومن خلال آدم، أصبحت طاعة الله وعبادته تتم من خلال وسيطٍ، وأصبحت إرادته تتجسد من خلال خليفته في الأرض، وقد ورد هذا المعنى بوضوح في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ[٦]﴾.

وهنا نشهد أول أمر إلهي صدر عند خلق آدم—وهو السجود له طاعةً لله سبحانه، وبهذا ترسخ النظام الإلهي والسلطة الربانية على الأرض من خلال خليفته، وقد كرم الله وأنعم على الذين أطاعوا هذا الأمر، كالملائكة، ولعن الذين رفضوه، كإبليس، وطردهم، فصاروا شياطيناً.

ورغم أن هذا السرد لم يرد بشكل صريح في الكتاب المقدس العبري المعتمد، إلا أنه حُفظ في بعض الكتب اليهودية المسيحية الأبوكريفية، مما يدل على أن المجتمعات اليهودية والمسيحية الأولى كانت على دراية بالأبعاد العقائدية الأوسع للدور الذي أُسند لآدم، حتى وإن تم لاحقاً استبعاد هذه النصوص من الأناجيل الرسمية. ومن أبرز تلك النصوص، المخطوطة الأبوكريفية "حياة آدم وحواء"، حيث يروي إبليس بنفسه سبب طرده من الجنة قائلاً:

> **"قال الشيطان وهو يئن: «يا آدم، كل عداوتي وحسدي واستيائى موجه إليك، لأنه بسببك طُردت وغُربت عن مجدي الذي كان لي في السماء بين الملائكة، بسببك طُردت إلى الأرض»، أجاب آدم: «ماذا فعلت بك؟ ما ذنبي في حقك؟ طالما أننا لم نؤذيك، فلماذا تضطهدنا؟» أجاب إبليس: «آدم، ماذا تقول لي؟ بسببك طردت من السماء، عندما صُنعت، طُردت من وجه الله وأُرسلت من بين جماعة الملائكة. عندما نفخ الله فيك نسمة حياة وصنع وجهك ومثالك على صورة الله، قادك ميخائيل وجعلك تُعبد أمام الله، ثم قال الرب الإله: ها هو**

[٦] القرآن الكريم - سورة الحجر - الآية ٢٩ - ٣١

آدم، لقد صنعتك على صورتنا ومثالنا، وبعد أن خرج دعا ميخائيل جميع الملائكة قائلاً: اسجدوا لصورة الرب الاله، كما أمر الرب الإله. سجد ميخائيل نفسه أولاً ثم دعاني وقال: اسجد لصورة الرب الاله. أجبت: ليس لدي ما أعبد به آدم. عندما أجبرني ميخائيل على السجود، قلت له: لماذا تجبرني؟ لن أعبد من هو أدنى مني، أنا أسبق ذلك المخلوق، قبل أن يُخلق كنت قد خلقت بالفعل، يجب عليه أن يعبدني. عند سماع هذا لم يكن الملائكة الآخرون الذين كانوا تحتي راغبين في عبادته. قال ميخائيل: اعبد صورة الله، إذا لم تعبد فإن الرب الإله سيغضب منك. قال: إذا غضب مني فسأضع مقعدي فوق نجوم السماء وسأكون مثل العلي. ثم غضب الرب الإله علي وأخرجني مع ملائكتي من مجدنا، بسببك طردنا من مسكننا إلى هذا العالم وطُردنا على الأرض، وحَزِنّا على الفور، لأننا حُرِمْنا من الكثير من المجد، حَزِنّا لرؤيتك في مثل هذه السعادة العظيمة والمسرات، لقد خدعت زوجتك وتسببت في طردك من خلالها من مسرات سعادتك تماماً كما طردت أنا من مجدي». لما سمع آدم هذا صرخ بصوت عالٍ بسبب الشيطان وقال: «يا رب إلهي في يديك حياتي. أبعد عني هذا الخصم الذي يسعى إلى إهلاك نفسي، أعطني مجده الذي فقده هو نفسه». وفي الحال لم يعد الشيطان يظهر له، لقد صمد آدم حقًّا لمدة أربعين يوماً واقفاً في مياه الأردن تائباً[7]".

في هذا النص يتبيّن أن رفض إبليس كان بدافع الكبر والغرور—وهو رفض لأمر الله بالإقرار بمقام آدم الذي أعطاه الله إياه، ومن هنا كان عهد آدم، منذ بدايته، يتمحور حول طاعة الخليفة المنصب من الله والسلطة الإلهية المنوطة به.

وكانت أولى الأحكام الإلهية في عهد آدم هي الأمر الإلهي بالسجود لآدم (عليه السلام)—أي الإقرار وعبادة الله من خلال خليفته المختار في الخلق، والذي يحمل في داخله روح الله. هذا الأمر الإلهي الأول شكّل الأساس الذي بُنيت عليه سائر العهود الإلهية اللاحقة، إذ رسخ سابقة ثابتة: طاعة الله لا تتحقق إلا من خلال طاعة خليفته المنصب في الأرض.

[7] حياة آدم وحواء (النص اللاتيني)، الفصول ١٢ - ١٧، ترجمة: م. د. جونسون، ضمن كتاب: الأسفار المنحولة للعهد القديم، المجلد الثاني، تحرير: جيمس هـ. تشارلزورث (نيويورك: دار دوبلداي، ١٩٨٥)، الصفحة ٢٥٨ - ٢٦١.

ويتردد صدى هذا المبدأ في جميع الكتب السماوية والسنن النبوية؛ فقد أمر الله بطاعة آدم، وأمر بطاعة نوح، ومن جحد هلك في الطوفان، كما أمر بطاعة إبراهيم والامتثال لما حمله من أحكام، وأمر بني إسرائيل بطاعة موسى، ثم عيسى (عليهم السلام)، وفي الإسلام أمر بطاعة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، في كل حال، ظلّ هذا العهد الإلهي قائماً على قاعدة واحدة لا تنفصل عنه: طاعة خليفة الله في الأرض، بل إن الله لا يبعث نبياً أو رسولاً إلا ليُطاع، تماماً كما أُمر الخلق بطاعة آدم، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقية المتأصلة: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**[8]﴾.

ومن خلال تعاليم الإسلام، وكلام النبي محمد وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) يتبيّن أن جوهر الدين كلّه يكمن في هذا الأمر الإلهي الأول—طاعة خليفة الله، وأساس كل عهد إلهي إنما يبدأ بنفس هذا التكليف الإلهي، في رواية جوهرية يذكّر الإمام علي (عليه السلام) المؤمنين بعاقبة إهمال هذا الأمر: **"فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا، إن حكمه في أهل السماء والأرض لواحد[9]"**.

وهناك روايات متعددة تنص على أن الله لم يخلق نار جهنم إلا نتيجة لنقض هذا التكليف الإلهي الأول، فلو أن البشرية أطاعت خليفة الله في كل عصر—إمام زمانهم—لما كان هناك حاجة للنار أصلاً، وقد تجلّت هذه الحقيقة في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **"لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله عز وجل النار[10]"**. وهذا هو المعنى الحقيقي للحديث الشريف: **"من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتةً جاهلية[11]"**.

ف "معرفة" إمام الزمان لا تعني فقط معرفة اسمه أو نسبه، بل الإقرار به كـ "آدم الزمان"، الخليفة المنصب من الله في الأرض، أي طاعته، والانصياع لأمره، وعبادة الله من خلال مقامه. ولهذا، يبقى الأمر الأول من

---

[8] القرآن الكريم - سورة النساء - الآية ٦٤

[9] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٣ - الصفحة ١٣١

[10] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٩ - الصفحة ٢٤٨

[11] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج 23 - الصفحة 78

العهد الأول - السجود لآدم - قائم إلى الأبد، فلم يُنسخ ولم يُبطل، بل تطوّر من خلال تعاقب خلفاء الله عبر الأزمنة، فالمؤمن مُكلف، في كل زمان ومكان، أن يعرف ويُطيع "آدم زمانه".

الأمر الأول في العهد الأول: اسجد لآدم زمانك.

في سفر التكوين، يبدأ العهد الإلهي مع آدم (عليه السلام) بسلسلة من الأوامر المقدسة، فبعد أن نصّبه الله خليفة له سبحانه في الأرض، أوكل إلى البشرية مسؤولياتها الأساسية، ورد في النص:

"وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذلِكَ[12]".

الأمر الثاني — "اثمروا واكثروا" — لم يكن موجه لآدم وحواء حصراً، بل هو أمر إلهي عام يشمل البشرية كافة في كل الأزمنة، ومثل الأمر الأول، فإنه يمتد ويتكرر عبر العهود الإلهية. فالدعوة إلى الزواج والتكاثر وتكوين الأسر حاضرة في حياة وتعاليم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام). وفي الإسلام يتجلى التأكيد على الزواج والإنجاب في سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث قال: **"النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني[13]"**. وقال أيضاً: **"أربع من سنن المرسلين: الحناء، والتعطر، والسواك، والنكاح[14]"**.

هذه الروايات تؤكد أن الزواج ليس مجرد عقد اجتماعي، بل إنه عمل مقدّس ووفاء بالعهد الإلهي الذي بدأ مع آدم، ومن خلال الزواج يطيع البشر أمراً إلهياً ويضمنون استمرارية الجنس البشري، ويبنون الأساس الذي

[12] الكتاب المقدس - سفر التكوين - الإصحاح ١: ٢٦-٣٠

[13] ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١١٧٨

[14] جامع الترمذي - كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث رقم ١٠٨٠

تتوارث من خلاله الأجيال القيم والأخلاق، أما الأمر الثالث الوارد في نص سفر التكوين، فهو الأمر بإخضاع الأرض والتسلط عليها: **"امْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ[15]"**.

إن هذا ليس أمراً عاماً موجهاً للبشرية جمعاء، بل إنه تكليف خاص وأمر موجه أولاً إلى آدم، ثم إلى كل خليفة مُنصب إلهياً من ذريته، فترتيب هذه الأوامر ليس عشوائياً، بل هو مقصود ومُحكم، إذ لا يمكن لمبدأ السلطة والقيادة أن يُمارَس بحق إلا إذا تأسس على قاعدة الطاعة لله والدعم المجتمعي، ومن هنا نرى التسلسل الإلهي واضحاً:

- أولًا: جاء الأمر بالسجود لآدم—أي الإقرار بخليفة الله وطاعته.
- ثانياً: جاء الأمر بالتكاثر والإثمار—لضمان نمو البشرية واستمرارها.
- ثالثًا: جاء الأمر بالحكم والسيادة—لإقامة الحكم الإلهي على مجتمع مؤمن ومزدهر من خلال القائد الحق[16].

هذا هو الهيكل الإلهي للحكم المقدس على الأرض، فكل خليفة، بدءاً من آدم ومروراً بجميع الأنبياء والأئمة المنصبين من الله، مكلف بحكم الأرض وتحويلها إلى صورة من الجنة، ولهذا قال الله لآدم: ﴿**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا[17]**﴾. فنرى هنا أن جوهر الشريعة الإلهية يتجلى في وصيتين أساسيتين تشكلان أساس المسؤولية البشرية في ضوء عهد آدم:

- التسليم لإمام الزمان
- الزواج والإنجاب.

---

[15] الكتاب المقدس - سفر التكوين - الإصحاح ١ : ٢٨

[16] إن النهي عن الأكل من الشجرة لا يُتناول في هذا الموضع ضمن أحكام العهد الأول، إذ إن هذا الكتاب معنيٌّ فقط بالفرائض والنواهي التي لها تطبيق عملي في الأرض.

[17] القرآن الكريم - سورة البقرة - الآية ٣٥

ويُجسّد هذا الإطار المزدوج بُعدي الحياة الإنسانية: الروحي والاجتماعي، وقد لخّص النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الحقيقة بقوله: **"إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي[18]".**

أما النصف الأصعب من الدين فليس الزواج، بل إنه الطاعة - طاعة آدم الزمان والتسليم للإمام المنصب من الله، والإقرار به حجاباً لله على الأرض، وعبادة الله من خلاله. هذا التسليم هو تسليماً مادياً وروحياً: السجود بالجسد والأهم السجود بالقلب: قبول وتسليم وثقة بكل ما يأتي من الله من خلال خليفته المختار، نسأل الله أن يرزقنا جميعاً معرفة ثقل هذا الأمر الالهي وأداء الشريعة الالهية الخاصة بالعهد الأول.

ورغم أن عهد النبي آدم يحتوي على عدد أقل من الأحكام مقارنةً بالعهود اللاحقة—كعهد النبي موسى أو النبي محمد—إلا أنه يظل حجر الأساس في العلاقة بين الله والإنسان. والعجيب أن الشيطان لم يعترض على أي من العبادات أو الشعائر المتعلقة بالعهود الإلهية المختلفة عبر الزمن. كان يصلي، ويصوم، ويظهر الورع، ولكن هناك أمر إلهي واحد فقط رفضه رفضاً قاطعاً: الأمر الإلهي الأول والأهم—السجود لآدم الزمان.

هذه المعصية وحدها شكّلت بداية تمرده، وهذا هو نفس الأمر الإلهي الذي يسعى لهدمه في كل زمان. ففي اليهودية والمسيحية والإسلام، نجد روايات متواترة تُظهر أن الشيطان وأتباعه يؤدون الشعائر الدينية، لكنهم في نفس الوقت يصدون الناس عن خليفة الله المنصب إلهياً.

فعلى سبيل المثال، في زمن عيسى (عليه السلام)، تصف الأناجيل الفريسيين وعلماء الشريعة - الذين كانوا يتسمون بالتحفظ الشديد في أداء الطقوس - بأنهم هم من جحدوا ورفضوا عيسى نفسه، لقد استنكر عليهم عيسى (عليه السلام) تمسكهم بالشعائر الدينية الشكلية، بينما كانوا يفتقرون إلى الطاعة الحقيقية لمن اختاره الله، ونعتهم بأبناء قابيل والشيطان.

وفي زمن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام)، تكررت القصة، حيث صام الكثيرون وصلوا وأظهروا التقوى—ولكن عندما حان وقت البيعة بعد وفاة النبي، بايعوا أبا بكر بدلاً من علي (عليه السلام) الذي نص عليه رسول الله صراحةً.

---

[18] ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١١٧٩

لقد كانت غاية الشيطان دائماً هي سلب "آدم الزمان" —خليفة الله في الأرض— ملكه الشرعي. يسعد الشيطان أن يرى الناس يؤدون الأعمال العبادية طالما أنهم يرفضون السلطة الإلهية، وقد تجلّى هذا بوضوح في رواية عن سلمان الفارسي حول أحداث السقيفة، حيث سأل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

"تدري من أول من بايعه حين صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا ولكني رأيت شيخا كبيرا متوكئا على عصاه بين عينيه سجادة شديد التشمير وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني ولم يخرجني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان أبسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد. فقال لي علي عليه السلام: يا سلمان وهل تدري من هو؟ قلت: لا ولكني ساءتني مقالته كأنه شامت بموت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال علي إن ذلك إبليس لعنه الله[19]".

هذه الرواية المفزعة تكشف عن الهدف الحقيقي للشيطان: السعي لتقويض الخلافة الإلهية على الأرض بينما يتخفى وراء مظاهر التدين، فالشيطان لا يعارض تعليم الدين—ما دام خالياً من الحكومة الإلهية. إنه يفرح حين تكون العبادة خالية من ولاية خليفة الله. ولهذا تحذرنا الرواية التالية: **"سيأتي على الناس زمان يجلس في مساجدهم شياطين يعلمونهم أمر دينهم[20]"**. فالشيطان لا يعارض الدين—إنما يعارض *إمام الزمان*، ومهمته كانت ولا تزال: قطع الصلة بين السماوات والأرض، بين الوحي الإلهي والسلطة السياسية، بين المسجد والعرش، بين الكنيسة والدولة، أما الدين الحقيقي، فيبدأ وينتهي بطاعة خليفة الله.

[19] الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - الجزء الأول - الصفحة ١٠٦

[20] كتاب إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة - حمود بن عبد الله التويجري - ج ٢ - الصفحة ٥١